التَّعليقُ

المُمْتِع عَلَى القَوَاعِدِ الأربع

الحَلَقَةُ الرَّابِعَةُ

كَتَبَهُ:

أَبُو حَفْصٍ الأَزْدِيّ

(الحلقة الرابعة)

التَّعليقُ المُمتِع على القواعدِ الأَربع

كَتَبَهُ:

أَبُو حَفْصٍ الأَزْدِيُّ



١٤٣٩ للهِجْرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «**القاعدة الثالثة**: أن النبي ظهر في أناس متفرقين في عباداتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]؛ ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧]؛ ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠]؛ ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: ١١٦]؛ ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]؛ ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: ١٩-٢٠]؛ وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر

وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.... الحديث»[1]، يقرر الإمام ﵀ في هذه القاعدة أن الشرك ملة واحدة مهما اختلفت صوره في الظاهر فمن عبد شجرًا أو حجرًا كمن عبد نبيًا أو ملكًا أو وليًا ولا فرق فكل من تلبس بالشرك اشتق له منه اسمًا فيقال مشرك سواء أكان منتسبًا إلى الإسلام كذبًا وزورًا أو مصرحًا بكفره وخروجه عن الإسلام فإن المسلم هو من اتصف بوصف الإسلام فإن أشرك زال عنه هذا الوصف واشتق له من الشرك اسمًا فيقال "مشرك" ثم نبني على هذا الاسم أحكامه فنقاتلهم جميعًا كما قاتلهم رسول الله ﷺ على اختلاف معبوداتهم، ويدخل في ذلك بلا شك مشركي الدستور إذ سبق معنا أنه لا فرق بين من أشرك بالله في عبادته وبين من أشرك به في حكمه كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥﴾ [النحل: ٣٥]!

ومما يستطرف هنا أن العلامة علي الخضير فك الله أسره قال في رسالته "القواعد الأربع التي تفرق بين دين المسلمين ودين العلمانيين" والتي حاكى فيها المتن الذي بين أيدينا! «القاعدة الرابعة: أن الرسول

[1] أخرجه الترمذي في سننه أبواب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (ت بشار (٤/٤٥)) (ت شاكر (٤/٤٧٥)) برقم: (٢١٨٠)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٧/٢٤) برقم: (١١٠١٦): «فيه كثير بن عبد الله، وقد ضعفه الجمهور، وحسن الترمذي حديثه»، وقد ضعفه الجمهور وقال الشيخ المحدث مساعد بن بشير: «الحديث لا يخلو من مقال فيه».

جاء إلى المشركين ولهم أرباب كثيرة ومختلفة فمنهم من يعبد الأصنام والأوثان ومنهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الجن ومنهم من يعبد النجوم ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد عيسى بن مريم ومنهم من يعبد الأنبياء ومنهم من يعبد الصالحين فلم يفرق بينهم في الحكم والكفر والقتال. والعلمانيون كذلك لهم آلهة كثيرة وهم طوائف باعتبار معبوديهم منهم من يعبد الأمريكان ومنهم من يعبد الأوربيين ومنهم من يعبد الروس ومنهم من يعبد النظام العالمي الجديد ومنهم من يعبد الحكام ومنهم من يعبد النظريات ومنهم من يعبد الوطن ومنهم من يعبد القومية والجنس ويعبدون قيادييهم ومفكريهم فلا فرق بينهم في الكفر والردة!»[٢].

وعليه فيجب قتالهم جميعًا لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]؛ وهذه الآية مفسرة لحديث رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا اللهُ -وفي رواية: يقيموا الصَّلاةَ ويؤتوا الزَّكاةَ ويَشهدُوا أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ-، فإذا قالوا: لا إله إلا اللهُ عَصَمُوا مِنِّي دماءَهم وأموالَهم إلا بحَقِّها وحسابُهُم على اللهِ»[٣]، فقوله ﷺ: "حتى يقولوا لا إله إلا الله" ليس المراد به مجرد النطق باللسان! بل المراد التصديق والقول والعمل

---

[٢] القواعد الأربع التي تفرق بين دين المسلمين ودين العلمانيين: ص٣.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]؛ (١٤/١) برقم (٢٥)، ومسلم في صحيحه باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (٥٢/١) برقم (٢١).

كما بيت الآية: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ أي في القول والعمل والإعتقاد، ولذلك قال في الحديث "إلا بحقها" أي: حق لا إله إلا الله ولوازمها من الأقوال والأعمال، ويزيد الأمر وضوحًا رواية "يَشهدُوا أنْ لا إلهَ إلَّا اللّهُ"! كما قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]؛ فلا بد من "الشهادة" بها كما بينت هذه الرواية الموافقة للآية المذكورة والشهادة تكون بالإقرار بالقلب واللسان مع الإتيان بلوازم ذلك من الأعمال، ويبين ذلك قوله تعالى في ذات السورة: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٧-٨]؛ فكأنه فصل في هاتين الآيتين شهادة العلماء التي أجملها في الآية السابقة! وقد إشتملت الآيتين المفسرتين للشهادة على: اعتقاد القلب وذلك في قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾، وإقرار اللسان وذلك في قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾، وعمل القلب وذلك بالرهبة والرغبة فالرهبة في قولهم: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ والرغبة في قولهم: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾، والعمل وذلك بالدعاء. وهذا هو تعريف الإيمان عن أهل السنة والجماعة بأنه قول وعمل واعتقاد!

فلو اختل أحد هذه الأركان "القول والعمل والاعتقاد" زال الإيمان بالكلية ولم ينفع صاحبه أن يكون أتى بنطق أو ببعض عمل حتى يستكمل أركان الإيمان وشروطه ولوازمه وكان دينه كله لله وانظر إن شئت إلى بيان أبي الأعلى المودودي لمعنى الدين في كتابه الماتع "المصطلحات الأربعة في القرآن"!

ثم ذكر المصنف ﷬ دليلًا على كل صورة من صور الشرك التي ذكرها ليبين أن تنوع صور الشرك لا يغير حكم أصحابها في الدنيا - بالتكفير والقتال- وفي الآخرة -بالخلود في النار-.

ونسوق هنا إلى لطيفة حق للناظر فيها أن يقف عندها فيطيل الوقفة! وذلك في الدليل الذي ذكره المؤلف على وجود شرك الأنبياء: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة: ١١٦]؛ فنبي الله عيسى بن مريم عليه وعلى أمه السلام قدم تنزيه الله ﷻ عن الشريك فقال: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ على الدفاع عن نفسه!، فليت شعري أي قلب هذا الذي يقف صاحبه هذا الموقف الذي تشيب منه الولدان بأن يتهم بين يدي العزيز الجبار بأنه دعا قومه إلى الشرك -أبغض الذنوب إلى الله- فيُسأل عن ذلك فيقوم في قلبه من محبة الله وتعظيمه ما يجعله يقدم تنزيهه ﷻ على الدفاع عن نفسه؟!

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ٤٨ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ

طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ
وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا
بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ
مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ
مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ
ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا
بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[٤] [آل عمران: ٤٥-
٥٣].

اللَّهُمَّ اجعلنا من أنصارك وأنصار دينك وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.. والحمد لله رب العالمين.

---

[٤] قلت: وإن شئت فزد هذه الآية إلى الكلام السابق في معنى شهادة "لا إله إلا الله" أيضًا!